الابتلاء
لا يمنع
السعادة

(١)

المؤمن السعيد بالحياة الطيبة يُبتلى من اللّه تعالى، لِمَ؟

١- حتى يشعر بتفريطه في حق اللّٰه.

٢- ليُكفر اللّٰه عن سيئاته.

٣- لتثبيته في الدين.

٤- ولكي يأتي اللّٰه بقلبٍ سليم من كل أنواع الشرك والبِدع والمعاصي والذنوب.

٥- وليرفعه اللّٰه درجات في عليين (في جنات النعيم).

(٢)

وهل يُلزم من الحياة السعيدة أن لا يُبتلى العبد المؤمن؟

لا يُلزم من الحياة السعيدة أن لا يُبتلى العبد المؤمن، فلابد للعبد المؤمن أن يُبتلى ويُمتحن؛ حتى ينال السعادة الأبدية..

فتنبه لذلك.

(٣)

إن المتأمل والمتدبر لنصوص الكتاب والسنَّة في ابتلاء العبد المؤمن يلحظ أن الشارع الحكيم يبتلي المؤمن ليرتقي في مدارج الرفعة في الدنيا والآخرة..

ولقد بين اللّه تعالى في كتابه وبين رسوله ﷺ في السنَّة أنواع الابتلاءات التي تصيب عبده المؤمن، والدليل على ذلك:

١) قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

البقرة: ١٥٥.

٢) عَنْ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ:

(فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ).

أخرجه الترمذي في "سننه" (٢٣٩٨).

(٤)

وهل هناك تنافي بين سعادة العبد في الحياة الدنيا وبين الابتلاء؟

لا تنافي بين سعادة العبد في الحياة الدنيا، وبين الابتلاء وما يحصل له من شيء من الضرر، مع بقاء حياته سعيدة، بشرط:

- إذا تلقى العبد البلاء بعبادة الصبر والاحتساب.
- وتلقى النعم بعبادة الشكر والإحسان.

فهذا هو العبد السعيد حقًا،
الذي إذا امتحنه اللّٰه
بالنعم شكر،
وإذا امتحنه اللّٰه
بالنغم صبر..
والدليل: حديث الأقرع
والأبرص والأعمى، **فمن الذي**
نـجح في الامتحان؟
الأعمى، الذي صبر في البلاء
وشكر في النعمة.

وهذا دليل على إيمانه بالله
عز وجل،
وإيمانه بقضاء الله وقدره..
فقد ينقص العبد بعض
النعم في صحته أو ماله أو
أولاده أو جاهه أو يُبتلى في
أمر دينه، فإذا صبر
واحتسب، فاز ورب الكعبة..
وسعد بعد الامتحان..

فلا يلزم الحياة السعيدة أن
لا يبتلى العبد المؤمن،
فهو يُبتلى لينال أعلى
الدرجات في الدنيا،
فيترقى من مقام الإسلام إلى
الإيمان إلى الإحسان، ثم
ينال أعلى الدرجات في الجنة.

(٥)

اقتضت حكمة اللّه تعالى،
ومضت سنته من ابتلاءِ عباده
في كل وقت، في الأولين
والآخرين من خلقه،
من أول ما خلق اللّه آدم إلى
آخر البشرية، أن يُمتحن
العبد بجميع أنواع الابتلاءات
(حسنة وسيئة) (شر، خير)،
لِمَ؟

١) ليميز الله **الصادق** في حبه وتعظيمه لله، من **الكاذب** الذي يدعي محبة الله وتعظيمه.

٢) ليميز الله بين **الأورع** عن محارم الله التقي، ومن **العاصي** الساقط في محرماته.

٣) ليميز الله **الأسرع** في طاعة الله والامتثال لأوامره، من **المتباطئ** عن طاعته.

٤) ليمزِ الله **الأحسن خُلقًا** وعقلاً، من **الأسوءِ خُلقًا** وسفاهة.

والدليل على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾

العنكبوت: ٢ - ٣.

٢- قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى
بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرُ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ الملك: ١ - ٢

(٦)

وكيف يكون الابتلاء في الدنيا؟

يكون الابتلاء في الدنيا بحسب إيمان العبد ودرجته في الدنيا والآخرة، فإذا كان إيمانه ضعيفًا كان بلائه على قدره ودرجته أيضًا..

وإذا كان إيمان العبد قويًا كان بلاءه أشد وأعظم.

والدليل على ذلك:

١. عَنْ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟

قَالَ : (الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ)

أخرجه الترمذي في "سننه" (٢٣٩٨).

٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ : إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا. قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟

قَالَ: (أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ).

أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٦٤٧).

وهل العبد يتحمل البلاء الذي يصيبه؟

نعم، العبد يتحمل البلاء الذي يصيبه، فالله ما يبلي العبد إلا بما يطيقه، وذلك دليل رحمته به، فهو الذي يقدره عليه سبحانه، لكن إذا تضجر ولم يصبر ولم يحتسب، سيخسر الامتحان، ولن يقدر عليه، ولن يعينه الله عليه.

(٧)

وما الحكمة من ابتلاء اللّه للعبد؟

١- حتى يتعظ ويعرف قدر نفسه وضعفه وحاجته لمولاه.

٢- وليتعرف من خلال هذا الابتلاء على أسماء اللّٰه الحسنى وصفاته العلى، ومن ثم يحب اللّٰه ويُعظمه أكثر، فيعرف أنه التواب، الرحيم، العفو، الكريم.

٣- ثم يشعر بالتفريط
والتقصير في حق الله،
وفي حق نفسه والآخرين،
ومن ثم يتوب إليه،
والدليل قوله تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ
وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الأنبياء: ٣٥

(٨)

ما الذي ندركه من ابتلاء اللّه العبد بأنواع الابتلاءات؟

ندرك حكمة الله تعالى في مختلف الابتلاءات التي يبتلى بها العبد، وأنها يترتب عليها نتائج ونهايات إما نجاح وفوز وفلاح، أو سقوط وخسران وطلاح لذلك المبتلى.

(٩)

وحكمة اللّه تقتضي أن يكون المؤمن بين ما يسره وبين ما يُحزنه

فيوم يصاب في نفسه، ويوم يُصاب في ماله، ويوم يُصاب في أهله، ويوم يُصاب في ولده، ويوم يصاب في جاهه، ويوم يصاب في عرضه، ويوم يُصاب في أمنه وأمانه، وفي غيرها من الابتلاءات.

فهو في جهاد طيلة حياته..

وهذا الجهاد له فيه من الأجور العظيمة، التي تُكتب في صحيفة أعماله، وتُرفع له كل يوم بالليل والنهار، ثم يُبشَّر بالجزاء العظيم من اللّٰه، مقابل صبره وإيمانه واحتسابه.

(١٠)

ومن المثبت في هذه الابتلاءات؟

وليدرك العبد أن الله هو المثبت وحده لا شريك له أمام هذه الفتن والابتلاءات والامتحانات، فلولا فضل الله عليه ما ثبت عند كل فتنة، وعند كل امتحان، وعند كل بلاء.

(١١)

وهل يكون ابتلاءه وامتحانه يذهب سدى؟

وليعلم العبد أن كل مصيبة يُصاب بها وكل ابتلاء وامتحان يمر عليه من همٍ وألمٍ وحزنٍ، لا يذهب سدى، بل سيعوضه الله خير منه، حيث:

١- سيمحو الله تعالى بها ذنوبه.

٢- ويُكفر عنه بها سيئاته.

٣- ويرفع بها درجاته في الدنيا والآخرة.

٤- وسيحصل له بها زيادة الإيمان.

٥- ورفعة القدر عند الله، ومحبته له.

٦- وقوة في التمسك بدينه.

٧- بركة في الرزق والعمر.

٨- وزيادة في الحسنات.

٩- وحصول الثواب العظيم.

١٠- ونيل رضا الله تعالى عنه في الدنيا والآخرة بدخول الجنة ولقاءه، حتى أنه إذا لقي الله نسي كل حزن وهم وألم حصل له في الدنيا،

(١٢)

وماذا يصنع العبد المؤمن عند حصول الابتلاء له؟

العبد المؤمن عند حصول الابتلاء له، عليه أن:

١- يتذكر أجر الله وثوابه العظيم الذي وعده به حتى يؤجر الأجر العظيم على ذلك.

٢- وعليه أن يصبر ويثبت إلى أن يجتاز هذه الابتلاءات والامتحانات، حتى يفوز برضا الله عنه.

٣- وأن يثق بالله تعالى، ووعده له، وأن الله معه وناصره مهما حصل له من الضرر، فإن الله سينصره على نفسه وشيطانه ودنياه.

٤- وليعلم أن الله يُكفِّر عنه سيئاته، ويُعظم له أجرًا.

٥- ويرفعه في أعلى درجات الجنة.

٦- ثم سيحصل له من بعد الابتلاءات السكينة والطمأنينة في نفسه، وفي جميع شئون حياته إلى أن يموت، فلا يخاف أحدًا إلا الله، وهذا من أعلى مقامات التوحيد، كما حدث لزوجة فرعون، والسحرة، والغلام، وغيرهم.. فلا يخاف من فقدان أي شيء في الدنيا، ولو كانت حياته، فهو في طمأنينة مع شدة بلاءه. وهذا الذي يبحث عنه العبد: انشراح الصدر، والطمأنينة، وراحة البال، هذا من أعظم ما يُعطى العبد المؤمن، أن لا يلتفت قلبه إلا إلى الله.

٧- وليتذكر لقاء الله له، وهو راضٍ عنه، فينسى كل بلاء مر به في سبيل مرضاته، وينسى كل ما حصل له من الآلام والأحزان والأضرار، عند حصول ما وعده الله به من النعيم المقيم الدائم، والدليل على ذلك:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

"يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟

فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".

أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٨٠٧).

(١٣)

إذن: ماذا عليّ بعدما قرأت هذه الموعظة البليغة؟

أن أعلم أن الدين كله مبناه على هذه الآية العظيمة، وهي:

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾

هود: ١١٢.

على عبادة الله في كل الأحوال..

فعليّ:

- ✓ أن استقم على أمر الله في السراء والضراء..
- ✓ أن استقم على أمر الله في الشدة والرخاء..
- ✓أن استقم على أمر الله في اليسر والعسر..
- ✓ أن استقم على أمر الله في الحزن والفرح..

✓أن استقم على أمر الله في الفقر والغنى..

✓ أن استقم على أمر الله في المرض والصحة..

✓أن استقم على أمر الله في الحزن والسرور..

✓ أن استقم على أمر الله في الذل والعزة..

✓أن استقم على أمر الله في

جميع شئوني،

كما أمرني بذلك ربي..

صبرًا واحتسابًا عند كل بلاء..

شكرًا وطاعة عند كل نعمة..